

الجزاءات في القرآن الكريم تفاوتاً وعدلاً

د . أحمد محمد نور إبراهيم*

المقدمة

هذا بحث في جزاءات الله تعالى على الأعمال التي يقدمها الناس بين يديه في الدنيا والآخرة، و الجزاء عند الله تعالى من جنس ما يقدمه العبد من عمل فمن أحسن، فله الجزاء الحسن، و من أساء فعليه الجزاء السيئ، ذلك أن العبد هو الذي يقرر بنفسه الخير والشر، فإن آمن وأصلح وعمل صالحاً فله على ذلك الخير كله، ومن كفر وأساء ولم يحسن العمل فله على ذلك الشر كله والله تعالى يبين هذا للعباد بوضوح فيقول تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ وَأَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَأِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا﴾ سورة الإسراء ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشورى أي من عمل سيئة فالجزاء عليها (العقاب) المستحق، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ {٧٢} الإسراء ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ الجاثية ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبأ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، ومن الحديث: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)^(١) وفي هذا البحث نقف على أنواع الجزاءات إذ إنها تتفاوت نوعاً وكماً فمنها ما هو مثلاً بمثل، ومنها ما هو بالمثلين والمرتين والضعفين، ومنها ما هو عشر أمثالها، ومنها ما هو مخفي الجزاء لعظمه ولأن تصوره غير ممكن. ومن الأعمال ما يضيع ثوابه فلا ثواب ولا وجود للعمل

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة القرآن الكريم وكنية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي سابقاً

نفسه، لأنه جاء وليس معه إيمان من صاحبه، وكل عمل غير مصحوب بالإيمان فلا وجود له ولا وزن ولا ثواب ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ {٢٣} الفرقان.

قسمت هذا البحث إلى خمسة مباحث لكل مبحث مطلبان لكل مطلب عدة مسائل وخاتمة وقائمة المصادر وقائمة الموضوعات وكان كما يلي:

المبحث الأول: الجزاء بالمثل وبه مطلبان وثمان مسائل.

المبحث الثاني: الجزاء مثلين أو ضعفين وبه مطلبان وعشر مسائل.

المبحث الثالث: الجزاء أضعافاً كثيرة وبه مطلبان واثنان عشرة مسائل.

المبحث الرابع: الجزاء بالتقليل والتبديل وبه مطلبان وست مسائل.

المبحث الخامس: الجزاء هلاكاً وتدميراً وذهاباً وبه مطلبان واثنان عشرة مسائل.

الخاتمة.

قائمة المصادر.

قائمة الموضوعات.

التمهيد

تعريف الجزاء لغة واصطلاحاً:

لغة: قال صاحب كتاب لسان العرب^(٢): جزي: الجزاء المكافأة على الشيء، جزاه به وعليه جزاء، وجزاه مجازاة وجزاء، وقول الخطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

والجازية: الجزاء اسم للمصدر كالعافية. والجزاء: يكون ثواباً ويكون عقاباً قال تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة يوسف. معناه فما عقوبته إن بان كذبكم بأنه لم يسرق؟ أي ما عقوبة السرق عندكم إن ظهر عليه؟ قال: جزاء السرق عندنا استرقاق السارق الذي يوجد في رحله، وكانت سنة آل يعقوب ثم وكده فقال: فهو جزاؤه. وفي الحديث: (الصوم لي وأنا أجزي به) أتولى الجزاء عليه بنفسه ولا أكله إلى أحد من ملك مقرب أو غيره.

واصطلاحاً: وفي القاموس الفقهي^(٣):

جزي الشيء - جزاء: كفي، وأغنى.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ سورة البقرة ومن قولهم: جزاه الله خيراً، أي أعطاه الله جزاء ما أسلف من طاعته.

- الرجل عنه: إذا قام مقامه.

أجزي عنه: جزي.

جازى فلاناً: أثابه.

الجزاء: الغناء والكفاية.

- المكافأة، والثواب. وفي التنزيل المجيد: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (سورة الرحمن)

- العقوبة على المعصية.

- العوض والبدل وفي الكتاب العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا

الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾

سورة المائدة أي فببله ومببله.

المبحث الأول: الجزاء بالمثل

المطلب الأول: جزاء أهل الخير بالمثل

المسألة الأولى: في شرع يعقوب

السارق مقابل ما سرق

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَئِنْ مَوَدَّنْ أَبْنَيْهَا الْعَيرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ {٧٠} قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَآذَا تَفْقَحُونَ {٧١} قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ {٧٢} قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ {٧٣} قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ {٧٤} قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {٧٥} فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ رَجَائِمْ مَنْ تَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ {٧٦} قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ {٧٧}﴾ (يوسف)

قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته العشرة لأبيه بدأت معه وهو صغير، حسدوه لحب أبيه له ولما رأى الرؤيا وقصها علي أبيه بشره بنبوته، وحذره أبوه من حسد إخوته ثم كادوا له بهذا الحسد وألقوه في الجب وحسبوا أنه قد مات والأب يعلم من رؤيا ابنه أنه حي وأنه سيكون نبيا. ودارت الأيام، فأخرج من الجب وبيع ودخل السجن وأخرج منه مرفوع الرأس موفور الكرامة ووضع في منصب وزير التموين، واحتاجه إخوته وجاعوا يبتاعون منه، فعرّفهم وهم له منكرون، واستطاع أن يقنعهم علي إحضار شقيقه بنيامين معهم وكال لهم الطعام ولم يأخذ منهم بضاعتهم، فاضطروا أن يعودوا بها ومعهم شقيقه، ثم كاد الله له بأن ألهمه أن يضع (الصواع) الخاص بالملك في رحل شقيقه، ثم عندما

تحركوا مسافرين ناداهم منادي الوزير إنكم سارقون، فجاعوا عائدين بعد التحرك لينفوا عن أنفسهم التهمة. وقبل إثبات السرقة سألهم عن جزاء من سرق في شريعتهم ؟ فقالوا: من سرق وثبتت التهمة عليه يؤخذ عبداً مملوكاً لمن سرق منه لمدة عام. ثم بدأ البحث في أوعية الجميع وجعل وعاء بنيامين آخر مافتشه ثم استخرج الصواع منه فأصبح بنيامين بوجود الصواع في متاعه مملوكاً لـيوسف الوزير لمدة عام فكما أخذ الصواع أخذ هو مقابله _ مثلاً بمثل.

المسألة الثانية :

المماثلة في مهر المشتريات

قال تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ الممتحنة(١١). هذه الآية: نزلت استثناء لما إتفق عليه الطرفان - المسلمون وقريش - اشترطت قريش في صلح الحديبية، أنه إذا جاء المسلمين أحد من قريش مسلماً من غير إذن وليه أن يرده المسلمون، ونفذ المسلمون الشرط في حينه حيث ردوا (أبا جندل) بن عمرو بن سهيل مندوب قريش في المفاوضات. جاءت الآية لتمنع رد النساء أن جئن مسلمات من دار الكفار؛ لأنه لا يحل أن تتزوج كافراً ولا أن تبقى في عصمته وكذلك لا يحل لهم كمسلمين أن يمسكوا في عصمتهم بزوجاتهم الكافرات. فأمروا بطلاق الكافرات وطلب المهر الذي دفعوه لهن من أهلهن فإن أبوا فنزلت الآية لنقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إن وقعت بينكم وبين الكفار معركة وغنمتم، فادفعوا من الغنائم لمن لحقت زوجاتهم الكافرات بأهليهن ولم يرد أهلوهن المهر لهم فادفعوا المهر الذي دفعوه من هذه الغنائم بغير زيادة ولا نقصان بل مثلاً بمثل والوصية بالتقوى حتى لا تزيد عن المقدار المدفوع ولا تنقص^(٤).

المسألة الثالثة :

الدين _ والدين مثلاً بمثل

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَنْخَسِ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة (٢٨٢) .

هذه وصية الله لأهل الإيمان _ بعد أن خوفهم عواقب الربا يوم البعث، فإن المرابي الآخذ والمعطي يقوم من قبره مصروعاً متخبطاً كما يتخبط الممسوس من مس الشيطان والسبب أنهم استحلوا الربا وجعلوه كالبيع تماماً، وعذاب الله تعالى للمرابين جعله دنيوياً وأخروياً، فأما الدنيوي فالحرب المعلنة من الله ورسوله للمرابين، فيذهب هذا المال أو يتلف، و يتأذى الأكلون من هذا المال الربوي في أنفسهم أوجاعاً وأمراضاً، ومحقة وذهاب بركة، وعدم توفيق في الحياة ينتهي بهم الأمر إلى الإفلاس، وفي الآخرة يقوم المرابي من قبره ممسوساً، لا يدري أين يذهب .. ثم يكون مصيره إلى النار تلك هي الحرب، أما إن تاب واستغفر فعليه أن يسترد مبلغه الذي دفعه للمستدين بدون زيادة، وإن كان المستدين في عسرة و ضيق فالله يأمره أن يؤخره حتى يتيسر أمره، وإن عفا هذا الدين للمتسر فهو الأفضل والأكرم عند الله تعالى^(٥).

المسألة الرابعة:

تساوي النساء في الحقوق والواجبات

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٨) البقرة الآية جاءت في حق النساء، اللاتي جعل القرآن لهن مكانة ومنزلة بعد أن كن مضطهدات في الجاهلية رفع من شأنهن وأكرمهن.. وجعل لهن حقوقاً وعليهن واجبات والنبي صلى الله عليه وسلم بين في حجة الوداع ما للنساء من حقوق وما عليهن من واجبات فحلّ الناس كلُّهم وقصّروا إلاّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَذِي فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّوْبَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مَنَى فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ فَتَزَلَّ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ (إِنِّ دِمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَخْتَفِدَمِي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتُهُ هَذَا ذِيْلُ وَرَبِّ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبِّمَا أَضَعُ رَبَانَا رَبُّمَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلَنْ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِجٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ

قَاتِلُونَ^(١) فما للرجال علي النساء: ألا تدخلن البيت أحدا من أقربائه أو أقربائها يكرهونه في حال غيبته فإنها مأمورة بالطاعة، فإن عصت أمره وأدخلت بيته أحدا يكرهه وهي تعلم ذلك، أحل الله له أن يضربها ضربا لا يترك أثرا في الجسم ولا يذمي، هذا ما على المرأة من واجب، ولها حق مثل الذي عليها وهو الأكل والشرب ولها الكساء كل ذلك بالمعروف في غير إسراف ولا تقتير. فالطلب بالمعروف في غير إلحاح ولا شجار والاستجابة بالمعروف أيضا ما دامت المرأة محتاجة و عند الرجل سعة، فليكرمها بالعطاء ولتكرمه بالطاعة.. لتسير الحياة^(٢).

المسألة الخامسة:

المماثلة في جزاء قاتل الصيد وهو محرم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا بِأَلْفِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ المائدة

يحرم الله على عباده الصيد، وهم محرمون بحج أو عمرة، ومن انتهك حرمة هذا النهي وصاد متعمدا وهو محرم، فعليه أن يحتكم إلى ولي الأمر أو إلى اثنين من ذوي العدل يحكمان عليه حكما مماثلا لما قتل من الصيد، فمن صاد طيبا وحشيا فيماتله ثور أو عجل من البقر، ومن صاد غزالا يماثله خروف أو تيس بنفس الحجم يهدى للكعبة لينبح هناك و يفرق على المساكين، و من صاد أرنباً أو زرافة يقدر الحكمان ما يناسب ما قتل من الصيد الوحشي بما يماثله من الحيوان الإنسي، فإن لم يجد ثمن ما يشتري به، صام أياما يقررها الحكمان تناسب ما يستحقه من جزاء يعادل ما صاد. والله قد عفا عما سلف قديما من صيد في الحرم، ومن عاد بعد العقوبة إلى الصيد مرة أخرى متعديا

فصاد فهذا يترك لعقاب الله تعالى لتعديه ولا يحكم له حكمان فالجزاء بمثل و قدر الحيوان الذي صاده من الحيوانات الإنسانية تذبح بمكة مثلاً بمثل^(٨)

المطلب الثاني: جزاء أهل الشر بالمثل

المسألة الأولى: العذاب دعاء بدعاء

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {٢} سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ {٣} وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {٤} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ {٥} ﴾ المسد

يوم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة في بداية السنة الرابعة من رسالته صلى الله عليه وسلم، صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ونادى القبائل يا بني فهر يا بني عدي حتى اجتمعوا فقال: (أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب: (تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟). فنزلت الآية: (تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ) لقد دعا أبو لهب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك، وهو التباب، وهي دعوة فيها تطاول على النبي الكريم وتعد على شخصه، وما فعل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً يدعو أبا لهب لسبه ..

فدعا الله سبحانه على أبي لهب و قال: (تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) (١) هذه هي الدعوة، وأخبرنا المولى عز وجل والذي دعا على أبي لهب أخبرنا أن الدعوة أُنْجِيبَتْ فقال: (وتَبَّ) أي هلك و صدق الله ، فقد أخبرنا المولى أنه من أهل النار هو وزوجه ولم ينفعهما مالهما ولا أولادهما (ما أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) فقد أسلم أغلب المشركين الذين كانوا معه فدخلوا في الإسلام ، وظل أبو لهب اثني عشر عاماً يسمع هذه السورة تقرأ عليه وتعهده بالنار ولم يتغير ، بدأ بالشر

بالدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه الله فأصابته دعوة الله فهلك فكما دعا دعي عليه مثلاً بمثل^(١) .

المسألة الثانية :

العذاب العظيم للذنوب العظيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور

هذا حديث الإفك والذي تجاسر فيه عبد الله بن أبي بن سلول فرمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رأى صفوان بن المعطل وهو يقود بعيره وهي عليه، والجيش عائد من غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦ هجرية وهي كانت في قضاء حاجتها حين غادر الجيش المكان الذي باتوا فيه ورفعوا هودجها ويحسبونها فيه فعرفها صفوان الذي بات في مؤخرة الجيش فأناخ بعيره لها فركبت فساقتها حتى أوصلها ساعة الظهرية وابن أبي في نفر من أصحابه رأى ذلك فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال: امرأة نبيكم تبيت عند رجل حتى تصبح. وشاع الخبر وانطلق يملأ الآفاق حمله بعض الصحابة من ابن أبي ونشروه، وهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش .

وبعد شهر نزل الوحي يبرئها ويعلن عن عذاب عظيم ينتظر ابن أبي فلهذا جلد النبي صلى الله عليه وسلم من نشروا الخبر وأشاعوه وترك ابن أبي للعذاب العظيم الذي وعده الله تعالى بحسده وفساده وتعيده على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فالعذاب العظيم مقابل الذنب العظيم الذي ارتكبه^(١) .

المسألة الثالثة :

جزاء سيئة بسيئة ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ {٤٠} الشورى ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام) هذا عدل الله تعالى مع أهل الخير، الحسنات يضاعفها أضعافاً كثيرة. أما السيئات فلا تكتب السيئة إلا سيئة واحدة مثل ما أساء إلى الآخرين، تخفيفاً من الله تعالى لعباده الصالحين لتعلو حسناتهم على سيئاتهم فيدخلهم الجنة، أما إذا استغفروا وتراجعوا عما فعلوه فإن الله تعالى _ بفضله _ يمحو تلك السيئة .

هكذا سنته تعالى مع عباده الصالحين وأوامره كذلك للعباد أن من أساء أن يجازى على قدر الإساءة لا يزيد على ذلك شيئاً رحمة، بالعباد قال تعالى موصياً عباده : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) (الشورى) ويجزي الله تعالى المظلوم الذي عفا عمن ظلمه بالثواب على هذا العفو من عند الله تعالى.. والله يجزل الثواب، وهو لا يحب الظالمين البادين بالظلم، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ {١٢٦} النحل والآية نزلت عقب غزوة أحد، حين مثل الكفار بجثث المسلمين، فلاكوا كبند حمزه، وبقروا بطون الصحابة الشهداء وقطعوا الأذان والأنوف وصنعوا منها عقوداً لبسوها فرحاً لانقمامهم ممن قتلوا آباءهم وإخوانهم وأقاربهم في غزوة بدر. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك نوى أن يمثل بسبعين من الكفار في الغزوات القادمة، فنزلت هذه الآية تدعوه إلى العقوبة بالمماثلة من غير زيادة، ورغبه في الصبر وقال إنه خير للصابرين، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على تلك المواجه والمرائر، وجعل الله العاقبة خيراً إذ إن الذين قتلوا أولئك الصحابة أصبحوا مسلمين مدافعين عن الإسلام أمثال خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وأبو سفيان وهند وغيرهم . فكان الصبر خيراً.

وصيته تعالى في التعدي قال موصياً عباده ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْقُوا

اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {١٩٤} ﴿البقرة﴾ . جمع الله تعالى في هذه الآية عدة مماثلات ف﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي فمن اعتدى عليكم في الشهر الحرام فاعتدوا عليه فيه أي حاربوه طالما حاربكم في الشهر الحرام ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ فإن اعتدوا عليكم في الدماء قتلاً وتجريحا فاعتدوا عليهم وخذوا حقكم منهم مماثلة وقصاصا ولا تزيدوا فالقصاص المماثلة. ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ أي من تعدى عليكم بشيء من الظلم بأن هدم أو قتل أو أخذ فاعتدوا بأن لا تقفوا مكتوفي الأيدي وإنما خذوا منهم مثل ما أخذوا منكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ واتقوا الله تعالى في تصرفاتكم، واعلموا أن الله مع المتقين تأييدا ونصرا وتمكينا، وليس مع الظالمين ولا مع المعتدين، فجانب المتقي قوي بالله، وجانب المعتدي ضعيف بسبغض الله له .

المسألة الرابعة :

المماثلة في الدماء

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٤٥}﴾ المائدة. هذه هي المماثلة في الدماء. كتبت في التوراة حكما يتقاضى به بنو إسرائيل، وأصبح بعد ذلك شرعا لنا، فمن قتل نفسا قتل بها، ومن فقا عينا فقتل عينه، ومن جدد أنفا جدعت أنفه، ومن صلم أذنا صلمت أذنه، ومن كسر سنا كسرت سنه، ومن جرح جرح مثل ما جرح خصمه. فهذه هي العدالة التي تحقق العدل وترفع الظلم وتخيف الناس حتى لا يعتدي أحد فيفعل به مثل ما فعل وفي هذا وحده الردع عن ارتكاب الجرائم.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تُلَوْنُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غُمًّا بِغَمٍّ لَّكِيلاً تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٥٣}﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {١٥٤}﴾ (آل عمران) .

يذكر الله تعالى عباده المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد. حيث رتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ووضع الرماة على الجبل وأمرهم ألا يغادروا أماكنهم إن رأوا المسلمين ينتصرون أو ينهزمون؛ لأنهم يحمون ظهر المقاتلين، فلما بدأت المعركة ودار القتال هُزِمَ المشركون وفروا من وجه المسلمين، وترك الرماة الموقع الذي حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تركه. ونزلوا يجمعون الغنائم من ساحة المعركة، فجاء خالد بن الوليد بجنوده من هذه الثغرة وأحدث ضربه في صفوف المسلمين قتل منهم سبعين فرداً، وحولت النصر إلى هزيمة، وولى بعض المسلمين من ساحة المعركة هاربين صاعدين في الجبال والطرق منطلقين إلى المدينة والرسول في ساحة المعركة وراءهم يدعوهم وقد أشيع مقتلته ويقول: (هَلَمْ إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ) ^(١١) أَنَا حَيٌّ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ نِدَائِهِ الْفَارُونَ، فجازاهم الله غماً بغم فقد غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعصيتهم لأوامره وتركهم الجبل وفتح الثغرة التي دخل منها العدو، فغمهم الله بذهاب النصر وحلول الهزيمة، غماً بغم لكي يكون ذلك درساً في قابل الأيام حتى لا يحزنوا على ما فاتهم من النصر، ولا ما أصابهم من الهزيمة والله خبير بكل تصرف وقع منهم.

المبحث الثاني :

الجزاء مثلين أو ضعفين

المطلب الأول :جزاء أهل الخير ضعفين

المسألة الأولى :الجزاء للمؤمنين ضعفين

قال تعالى: ﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ {٤٦} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٤٧} ذَوَاتَا أَفْنَانٍ {٤٨} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٤٩} فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ {٥٠} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٥١} فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ {٥٢} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٥٣} مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ {٥٤} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٥٥} فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ {٥٦} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٥٧} كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ {٥٨} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٥٩} هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ {٦٠} فِيهَا نَافٍ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {٦١}﴾

سورة الرحمن. تقوى الله تعالى لها عند الله منزلة ومكانة في الدنيا والآخرة، ولهذا وصى الله تعالى بها البشر أجمعين بدءاً من الرسل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الأحزاب وقال تعالى: ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ سورة النساء. وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادَ فَاتَّقُونِ﴾ الزمر. وبين جزاء التقوى في الدنيا فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. فهو معهم بالتأييد والنصرة والتمكين، هذا بعض جزاء التقوى في الدنيا. وبينت الآية في مطلع هذا الحديث جزاء من خاف الله تعالى، وخاف المقام بين يديه في الآخرة وعمل لما بعد الموت رزقه الله الجنة المضاعفة الأجر والثواب، فله جنتان، ذواتا أفنان، بينهما عينان تجريان، فيها من كل فاكهة زوجان، وبقية نعم الله لهذا العبد التقى جزاء مضاعفا .

المسألة الثانية: الزيادة في الهداية

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَكُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ {١٧} محمد. وهؤلاء هم الذين انتفعوا بما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين بالبراهين والدلائل والحجج فعرفوا وآمنوا واهتدوا وساروا في طريق الإيمان ثابتين كأصحاب الكهف الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف فالإيمان يزيد ويعلو ويرتفع كلما زاد العبد من تلاوة القرآن والإخلاص والتوجه إلى الله تعالى . والقرآن يزيد الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ {١٢٤} وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة .

المسألة الثالثة: التضعيف مثلين الأجر مرتين لأهل الكتاب

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ {٥٢} وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ {٥٣} أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَنْزَوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {٥٤}

﴿ القصص ﴾

سبب النزول: أهل الكتاب من نصارى الحبشة لما سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعثوا مناديب منهم ليعلموا خبر النبى صلى الله عليه وسلم فلما وصلوا مكة وقابلوا النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه وأجابهم آمنوا به وصدقوه وأشهروا إسلامهم مصدقين برسول الله وكتابه القرآن كما كانوا مصدقين برسولهم وكتبهم من قبل فاعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم: (خيبكم الله من ركب، بعثكم أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تقوموا من مجلسه حتى فارقتم دينكم وصدقتموه، ما نعلم ركبا أحق منكم فقالوا لهم: لا نبتغي الجاهلين) (١٧). فأهل الكتاب من يهود ونصارى فيهم بعض العقلاء الطمءاء، كالنجاشي،

وعبد الله بن سلام كانوا مؤمنين بما أنزل إليهم من كتب وما أرسل إليهم من رسل، ومصدقين بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي ورد ذكره في كتبهم وما أخبرهم به رسلهم فلما جاء وعرفوه آمنوا به وصدقوه وآمنوا بالقرآن الذي أنزل معه .

هؤلاء الأبرار من أهل الكتاب يؤتون أجرهم مرتين ، الأجر الأول إيمانهم برسلمهم وكتبهم التي أنزلت عليهم . والأجر الثاني إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنزل عليه . وصبرهم علي ذلك فإنهم حين آمنوا واجههم كفار قريش بغليظ القول وسيء الألفاظ فردوا عليهم قائلين : لا نبتغي الجاهلين . وفي الحديث : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأدرك الرسول صلى الله عليه وسلم فأمن به وأتبعه فله أجران) (١٣)

المسألة الرابعة : الأجر مرتين لنساء النبي صلى الله عليه وسلم
قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْنَتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ {٣١} الأحزاب يغري الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعالي الثواب وعظيم الأجر مرتين في الدنيا والآخرة ، إن هن قنتن وخضعن وأطعن الله تعالى فيما أمرهن به من الخشوع والطاعة لله تعالى ولرسوله ، كما ضاعف العذاب لمن تأتي بفاحشة مبينة ، قال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ {٣٠} الأحزاب

المسألة الخامسة : الجزاء بالضعفين

العافية والمال والبنون بالمثل

قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ {٨٣} فاستَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ {٨٤} الأنبياء

هذا نبي الله تعالى أيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله تعالى بفقد المال والعافية والبنين، فصبر السنوات الطوال وقال تعالى عنه: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ سورة ص وأي ثناء بعد هذا الثناء من الله عز وجل لعبده أيوب، ورد الله تعالى له كل ما فقد بعد هذا البلاء من نعمة العافية والمال أما البنون فقد ضاعفهم له فقال: ﴿وآتينا أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾. فإن كان فقد اثنين فقد رزقه الله أربعة، وإن كانوا خمسة فقد عوضه الله عشرة.. وهذا كما قال الله تعالى ﴿وذكرى للعابدين﴾ فالله تعالى بما ذكر من فضله لعبده أيوب يذكر بهذا الفضل العابدين، فإن أخلصوا العبادة لله تعالى فإن الجزاء مثل هذا الذي أعطى أيوب عليه السلام مضاعفاً لهم في الدنيا والآخرة^(١٤).

المطلب الثاني: جزاء أهل الشر ضعفين

المسألة الأولى: كفار مكة في بدر

هذه الآية من سورة عمران، متحدثة عن غزوة أحد التي قام بها الكفار ضد المسلمين انتصاراً لهزيمتهم في بدر التي مرغت سمعتهم وأهانتهم وذلّتهم وهم الأكثر عدداً وعتاداً واستعداداً للحرب، فقتل المسلمون منهم سبعين وأسروا سبعين و فر باقي الجنود تاركين وراءهم أسوء سمعة تحدث عنها القرآن قبل وقوعها بما يقارب العشر سنوات فقال: ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ {٤٥} القمر قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {١٦٥} آل عمران

و لما عاودوا الكرة في أحد هزموا في أول الغزوة وفروا من ميدان القتال، و لما ترك الرماة موقعهم في الجبل ليحوزوا الغنائم وفتحوا الثغرة التي نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم تركها، دخل منها الكفار وضربوا المسلمين ضرباً لا هوادة فيه فقتلوا من المسلمين سبعين، وبعد انتهاء المعركة

رجعوا من دون رغبة في دخول المدينة والمسلمون أدهشهم الحدث ورفع حاجب الدهشة عندهم كيف وقد حققوا النصر أولاء؟ كيف انقلب فجأة إلى هزيمة. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ما حدث هو من أنفسكم أنتم تسببتم فيه، تركتم ما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم تركه فتركتموه فهل كنتم إن الله على كل شيء قدير فهو القادر على نصركم وهزيمتكم ، فقتلوا الآن منكم سبعين وأنتم في بدر قتلتم منهم سبعين وأسرتهم سبعين قد أصبتم مثلاً فعلوا بكم فالنتم منتصرون وفائزون.

العذاب السرمدي لا موت فيه ولا حياة طيبة :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ﴾ {٧٤} لَا يَنْقُتُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {٧٥} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ {٧٦} وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ {٧٧} ﴿الزخرف .

الكفار في داخل النار يعذبون يتمنون الموت خلاصاً من العذاب فنادوا مالكا خازن النيران وقالوا : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فجاءهم الرد سريعاً ﴿إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ﴾ أي إنكم ستظلون في هذا العذاب السرمدي فلا موت . وكما قيل:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنيا أن يكنُ أمانياً (١٥)

المسألة الثانية :من كان في هذه أعمى

قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ {٧٢} الإسرائاء .. عدل الله تعالى أن يعامل العباد بمثل ما جاعوا به من عمل، فمن عاش في الدنيا غافلاً عن ذكر الله تاركاً ما أمر به من صلاة وصيام وحج وغيرها وأهمل ولم يعمل فقد عطل حواسه وعمي عن الحق فلم يبصره ولم يسر في طريق الحق فعاش أعمى البصيرة أعمى القلب، فلم يبصر في الدنيا وجاء إلى الآخرة بلا إيمان ولا عمل أعمى كما كان في الدنيا.. فالعمى هو اختياره من

الدنيا وجزاؤه في الآخرة.. ومصيره إلى النار.. ومن عجب يخاطب الله قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) طه فكما نسيت تنسى وكما عميت عن الحق في الدنيا تعمي في الآخرة.

المسألة الثالثة: العذاب للكفار للصد عن سبيل الله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَيْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨) النحل. ترسخت عقيدة الشرك في كثير من قلوب المشركين لم تدع فرصة لهم ليتأملوا ويعرفوا ويعملوا، فحاربوا ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين بل مضوا إلى حرب من آمن ليردوه عن دينه الذي دخل فيه وإلا حاربوه وآذوه وقتلوه، فارتكبوا جريمتين الكفر في أنفسهم، وصد غيرهم عن الإيمان. فكان لابد من العقاب العادل. فجاءهم العقاب عقابين عقاب الكفر وعقاب الصد. وذلك عدل الله (١٦).

المسألة الرابعة: العذاب ضعفين إن خالفت نساء النبي

قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) الأحزاب الله تعالى يحذر نساء النبي صلى الله عليه وسلم من الإتيان بأدنى فاحشة مبينة واضحة فسيكون عقابها مضاعفاً لا كعقاب باقي نساء المؤمنين لخصوصية وضعهن فهن أمهات المؤمنين فلا بد أن يكون العقاب قاسياً وشديداً ومضاعفاً. حماية وتحصيناً لهذا البيت الرفيع .

المسألة الخامسة: العذاب ضعفين للمنافقين

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْجَوْنَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١) التوبة النفاق من أكبر الجرائم، جعل الله جزاء المنافق في أحط وأحر منازل النيران ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الثَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النساء (١٤٥)

المبحث الثالث: الجزاء أضعافاً كثيرة المطلب الأول: جزاء أهل الخير أضعافاً كثيرة المسألة الأولى: الجزاء عشر أمثال

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام (١٦٠) جاء الحديث عن الحسنه بعشر أمثالها بعد الحديث عن الوصايا العشر في القرآن، والتي جاء الحديث بعدها عن كتاب موسى عليه السلام الذي جاء تتيماً لدعوة الإيمان التي دعا إليها قومه جاء الكتاب _ التوراة _ تتيماً للدعوة الحسنه، جاء الحديث تكميلاً لذلك الحسن ليضيف إلى الحسن حسناً جديداً. وجاء الحديث عن القرآن الذي وصفه الله تعالى بالمبارك ثم أمر باتباع هذا الكتاب المبارك فقال (فاتبعوه) أطوا حلاله وحرّموا حرامه واهتدوا بهديه (واتقوا) اتقوا الله لعلمكم باتباعكم والتقوى ترحمون .

المسألة الثانية : الجزاء الواسع الممتد

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {١٣٣} الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَافِظِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {١٣٤} وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٣٥} أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ أُجْرُ الْعَامِلِينَ {١٣٦} ﴿آل عمران﴾ دعوه للمسارعة لدخول الجنة، من مضمار الدنيا قبل انقضاء الأجل وضياع الفرصة، والمهد للفائزين في هذه المضمار جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين من أهل الإيمان ويكفي أن ينظر الإنسان إلى السماء

شاهقا ببصره ليعلم عرض الجنة أما الطول، فهو الممتد، والذي يعلم الله وحده طوله فلم يكلفنا إلا بالعرض لتتخيل ونعمل من أجله فهو العظيم الكبير. ذلك عطاء الله تعالى سعةً وامتداداً^(١٧).

المسألة الثالثة: الأضعاف الكثيرة

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيضاعِفَهُ لَهُ أَضعافاً كَثِيراً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ {٢٤٥} البقرة سؤال إغراء يقدمه المولى عز وجل لعباده المؤمنين ليتنافسوا في أعمال الخير ليدخلهم بها الجنة، فيقول: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، وفي الأصل المال حقه ونحن خلفاؤه فيه وبفضله وكرمه يستقرضنا، ويعدنا أن يضاعف لمن أقرضه هذا المال .. أضعافاً متعددة ويزيدنا علماً أنه هو الذي يبسط الرزق للعباد ويضيقه، ويبين أن مصير العباد أن يرجعوا إليه يوم القيامة. فما أعظم مننه وأكبر فضله وأحسن عطاءه . ولقد استجاب أبو الدرداح لهذا الطلب الإلهي الكريم حين نزلت الآية وقرأها رسول الله ؟ على الصحابة. فقال أبو الدرداح لرسول الله: يا رسول الله الله يستقرضنا وهو الغني عن القرض ؟ قال النبي؟: (نعم ليدخلكم به الجنة) فقال أبو الدرداح: يا رسول الله إن لي حائطاً (بستاناً) في مكان كذا. أشهدك أنني أقرضته لله تعالى: ثم خرج ونادى أم الدرداح من فوق الحائط وقال: اخرجي فإني أقرضته لله. فقالت: ربح البيع ثم خرجت^(١٨).

المسألة الرابعة: الجزء المركب في الجنة

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ {١٥} (محمد) ورد الحديث عن المتقين في الآية ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ {٥٤} في مقعدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ {٥٥} (القمر) والحديث الآن داخل الجنة في جانب منها، ومن زاوية واحدة، هي

الأنهار المعدة لأهل الجنة الذين أدخلهم فيها تقواهم لله تعالى. فالنعمة في الجنة لا تقاس ولا تعطى بالأواني والمواعين وإنما هي السعة والسعة المطلقة التي لا تحدها حدود فالماء في الجنة يجري أنهاراً متعددة فهو غير آسن فلا ينبت ولا يصيبه شيء لأنه جار باستمرار.

وكما قال الإمام الشافعي:

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب^(١٩)

واللبن الحليب يجري أنهاراً مختلفة المذاق والطعم والخمر أنهاراً مختلفة النكهة والنشوة وأحداث اللذة .. والعسل أنهاراً مختلفة اللون والطعم والرائحة، أنه عطاء الله الذي لا يعرف الحدود، ولا يعطي بالمعيار أو بالإتساء، وإنما الأنهار، إليها نعمة أخرى هي نعمة الفاكهة التي أيضاً لا تعرف الحدود، وإنما هي من كل الثمرات مما عرف الناس وما لم يعرفوا، ومع كل هذا شملهم الله تعالى بعفوه ومغفرته لكل ذنوبهم ومعاصيهم .

المسألة الخامسة: الجزاء المخفي

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ {١٥} ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْقًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ {١٦} ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {١٧} ﴿(السجدة) هؤلاء عباد مؤمنون، جمعوا من صفات الخير والنبيل الكثير فهم آمنوا بالله ووحدوه ولم يشركوا به وآمنوا برسله أجمعين وآمنوا باليوم الآخر والملائكة وكتب الله كلها .. والمؤمنون تتفاوت خصائصهم، وتتفاوت تبعاً لذلك درجات إيمانهم .. فهذا الصنف من المؤمنين يحدثنا الله تعالى عن جميل خصائصه ..

فهم مؤمنون بهذا الكتاب الكريم وهم بعد الإيمان يجلونه ويقدسونه ويعظمونه وإذا سمعوه يتلى أو ذكرت عندهم آياته خروا ساجدين لله تعالى تعظيماً وتكريماً

وإجلالا لما سمعوا وسبحوا بحمد الله تعالى وقدسوه وتزوهوه من الشريك والنديد والمثيل وسبحوا وسجدوا تعظيماً لله وآياته؛ لأنهم يتواضعون لله ولا يتكبرون ولهم في الليل جفوة مع المضاجع لا يأوون إليها إلا قليلاً يقومون مصليين متهجدين داعين الله تعالى خوفاً من النار وحرها ومن غضبه وعقابه وعذابه فهم يدعونه خائفين ويدعونه راغبين وطامعين في عفوه ومغفرته ورضوانه وجنته وهم بعد هذا أسخياء كرماء يمدون أيديهم بالعطاء إنفاقاً وبذلاً في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله فهم بهذه الصفات جاء جزاء الله تعالى لهم جزاء مخفياً لم يبين الله تعالى نوعيته ولا مقداره وإنما أشار تعالى إلى أن هذا الجزء المخفي مما تقربه العين وإذا قرت العين استراحة النفس وكان الرضى والخير^(٢٠).

المسألة السادسة: الجزاء بغير حساب

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ {١٠} الزمر
هذا من أعظم جزاء الله تعالى لعباده الصالحين أن يفتح لهم أبواب رحمته ليدخلوا فيها فينالوا خيراتها كيف شاءوا من غير حساب لهم أن يستمتعوا بكل أنواع المتع وبكل أنواع الشراب والكساء والنساء فلمهم ما أرادوا من غير حساب لقد صبروا على ضرب السياط، ومرارة الجوع، وحر الظمأ، وشدة الحبس وشدة الأذى ووطأة المرض وشدة الفقر فجاء التكريم من الله تعالى لهم لما ذاقوا في الدنيا في سبيله وسبيل الحق الذي صمدوا لإقامته فجاء العطاء واسعاً بلا حساب .

المسألة السابعة: الجزاء بمعية النبيين الصديقين والشهداء والصالحين

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ {٦٩} النساء
الآية تبين الجزاء العالي المعد لمن أطاع الله والرسول، فالحرم أشياء، وأحل أشياء وأمر بفعل أشياء ونهى عن فعل أشياء وبلغ رسوله صلى الله عليه

وسلم ما حرم وأحل وما أمر وما نهى للناس فمن أطاع الله والرسول فأحل ما أحل وحرّم ما حرّم الله وأتبع ما أمر الله وانتهى عما نهى الله فأولئك جزاؤهم معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والأربعة من أفضل الفئات عند الله منزلة ومقاماً ومن جعل الله تعالى جزاءه مع هؤلاء جعله من أهل رضوانه وتكريمه وجنته ولم يبين لنا ما أعده لهم وذلك لأننا قد يقصر نظرنا وعقلنا وفهمنا عن تصور ما قد أعد لهم، فهو كثير غير محسوب ولا محدود ولا متخيل فتكفي الذكرى بأن من أطاع الله والرسول فهو مع هؤلاء العظماء الكرماء.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾ النساء

المطلب الثاني: جزاء أهل الشر أضعافاً كثيرة

المسألة الأولى: ذهاب الأشخاص خسفاً

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولما تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولما تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٧) قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولما يسأل عن ثنوبهم المجرمون (٧٨) فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويحكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولما يلقاها إلا الصابرون (٨٠) فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من

المنتصدين (٨١) ﴿القصص﴾

قارون: من أشقى البشر، أنعم الله عليه بنعمة المال، فكانت كنوزة تحتاج مفاتيحها إلى العصبية القوية من الرجال ليحملوها .. هذه الكنوز أبعدته عن الطاعة ومعرفة الله، قدم له قومه النصيح فقالوا: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ {٧٦} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {٧٧} ﴿ القصص نصائح كالدرر قدمها قومه له لو كان يعمل بالنصيحة، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ سخر مالك في أشياء ينفعك فعلها يوم القيامة بدلاً من صرفها فيما لا ينفع. ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ فكل من مالك ما تشتهي من الطيبات وأشرب ما يطيب لك من الشراب، وألبس ما يروقك من الثياب واركب ما شئت مما يركب، وتزوج من شئت من النساء.

﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أحسن للمحتاجين والضعاف من الناس، كما أنك كنت لا تملك شيئاً فأعطاك الله فأعط كما أعطيت. ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ لا تقم حفلات القمار والزنا والخمر والفجور بما أنعم الله عليك من مال، إن الله لا يحب المفسدين. قابل هذا النصيح بكلمة كفر عقيمة أورثته ذل الدنيا ومهانته الآخرة. قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ لم يرد أن يقال إن الله أعطاه، فهو لا يعترف بعبء الله فقال: جمعته بعلمي في التجارة وخبرتي فيها فذهب هو وماله وداره بما قال.. ولم يبق له أثر وبقيت له أسوء سمعة في الوجود لهذا الجحود (٣١).

المسألة الثانية :

ذهاب الأشخاص طرداً من رحمة الله في الدنيا والآخرة مع العذاب

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ {٢٣} يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} يُؤْمِنُ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ {٢٥} ﴿النور﴾

نزلت هذه الآيات نهاية لحديث الإفك الذي رمى به المنافقون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبرأها الله تعالى بهذه الآيات مما نسبوه إليها وجعل برأتها وطهرها قرآناً يتلى إلى آخر الدهر.. عرفانا بفضلها وفضل أسرتها وكونها زوجة نبي هذه الأمة. صلى الله عليه وسلم.

وحديث الإفك عوقب في وقته من أعانوا على إشاعته بالتحدث به نشرأ له، وإن لم يكونوا قد ابتدأه أصلاً، أما من ابتدأه فالله هو المتولي عذابه.. ولهذا لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لوعده الله تعالى بعذابه العظيم. ونساء النبي صلى الله عليه وسلم لسن كنساء سائر المسلمين فنساء المسلمين تقبل توبة من رمي إحداهن أما نساء النبي فلا توبة لمن رمي إحداهن بل هو اللعن والطرده من رحمة الله في الدنيا والآخرة مع العذاب العظيم ذلك أن البيت النبوي قام على الأخلاق وقام لتتميم مكارم الأخلاق، فإن أسئ إليه فقد رمى في صميم الدعوة التي بعث من أجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المسألة الثالثة: الجزاء طرداً من رحمة الله

قال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً {٥١} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا {٥٢}﴾ النساء

كعب بن الأشرف، من زعماء بني النضير أظهر العداوة والبغضاء للإسلام وللمسلمين وللرسول صلى الله عليه وسلم له، ولليهود صلة مع كفار قريش، استشاروه في هذا النبي صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من دين سألوهم قائلين: ما نحن عليه من عبادة الأصنام خير أم ما جاءهم به محمد من عبادة الله؟ قال مضلاً لهم: ما أنتم عليه من عبادة الأصنام، وشرك بالله خير

مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من توحيد الله وترك عبادة الأصنام .
فكذب مضللاً.. فأغضب المولى عز وجل، فأنزل الله تعالى فيه تلك الآيات التي
بينت جرمه الذي ارتكبه وطرده به من رحمته^(٢٢).

المسألة الرابعة : العقاب الممتد

قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ {١٦٢} ﴾ وأسألهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا
يسبون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون {١٦٣} وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ
تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْرِفَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعْلَهُمْ
يَنْتَفِعُونَ {١٦٤} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ
ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَتِّيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {١٦٥} فَلَمَّا تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {١٦٦} وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٧} وَقَطَّعْنَاهُمْ
فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ نُونٌ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {١٦٨} ﴾ (الأعراف) هؤلاء هم اليهود، أخطاء متفاحشة متعاطمة
وعقوبات شديدة منها ماضى، ومنها ما هو سرمدى باق إلى يوم الساعة وأول
ما عوقبوا به أنهم طلب منهم بعد أن خرجوا من مصر إلى سيناء أن يدخلوا بيت
المقدس وأن يقولوا (خطة) فغيروها مستهزئين إلى (حنطة) وبذل الدخول سجداً
دخلوا يزحفون على استأهم فنزل عليهم عقاب من السماء قيل هو الجدي .

وثاني عقوباتهم في الآية صيد السمك يوم السبت يوم العبادة ، جعلوا له
حوضاً حبسوه فيه ثم أخذوه يوم الأحد؛ لأنهم حرموا فحرموا السمك في كل أيام
الأسبوع إلا يوم السبت المخصص للعبادة، فلما تمالأوا في الإهمال وترك ما
أمرؤا به من عبادة الله وتنفيذ أحكامه أنجى الله العلماء الذين قدموا النصيح وأهلك

من لم يطع الله بعذاب شديد بنيس بهذا الفسوق والمعصية. فلما عتوا وتمادوا وظلوا على المعصية حولهم الله إلى قردة خاسئين عظة وعبرة لهم ولمن حضر الحدث يومئذ ومن سيأتون من بعدهم ولغيرهم ثم أعلن الله تعالى أنه سيبعث عليهم إلى يوم القيامة جبارا يذيقهم أمرًا أشد أنواع العذاب ويذلهم وآخر من أنزلهم (هتار) وهذا عقاب سرمدي وعقاب آخر هو حرمانهم من نعمة وطن ينتمون إليه وتمزيقهم ونقطيعهم وتشيتهم في العالم أممًا وشعوبًا، منهم الصالحون ومنهم الطالحون وبلاهم بالحسنات والسيئات من العلم والأموال والسيئات والكفر والفساد والمؤمرات والدسائس وكل أنواع الدعارة والربا وهكذا نوع الله تعالى العقوبات على بني إسرائيل لعصيانهم وفسادهم (٢٣).

المسألة الخامسة: العذاب الدنيوي الممتد لليهود

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَانُوا حَرْمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرْمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ {١٤٦} الأنعام

معاصي اليهود أورثتهم غضب الله تعالى، وتبع غضبه عقاب شديد، دنيوي وأخروي. هذا عقاب دنيوي حرم الله تعالى به اليهود من مطعومات يعلم الله تعالى أنها ذات تأثير في أجسامهم ونفوسهم، حرّمهم الله تعالى لحوم الحيوانات ذات الظفر، وهي الإبل والطيور والبط والإوز والنعام ومعلوم أن لحوم الإبل لحوم صحية هشة لا تحمل أضراراً للإنسان ولا تخلف في الجسد متاعب ولا آلام فحرمهم لبن ولحم هذا الحيوان، الذي يتعافى ببوله ولبنه، عدا منافعه الكثيرة المعلومة الأخرى. وحرّمهم شحوم بقية الأنعام إلا شحماً اختلط بعظم أو اختلط بالمصارين أو شحم السنام في البقر، ومع هذا الحرمان من هذه الشحوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها

وأكلوا أثمانها وإن الله عز وجل إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه^(٢٤)

المسألة السادسة: العذاب بالتزويب في النار

قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَفَرًا﴾ {٢٦} وَمَا أُنْزِلَكَ مَا سَفَرٌ {٢٧} لَّا تَبْقَىٰ وَلَا تَنْزَرُ {٢٨} لَوَاحٍةً لِلْبَشَرِ {٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ {٣٠} ﴿المدثر

الوليد بن المغيرة، أنعم الله عليه بنعمة المال الممتد في مكة والطائف وغيرها من المدن ورزقه البنين الكثيرين المقيمين معه وجعله من زعماء مكة، ما أن ظهرت دعوة التوحيد حتى وقف ضدها مدافعاً عن الأباطيل والأوثان والأصنام ولم تقنعه آيات الله في الكون ولا القرآن. جاءت لحظة صدق فقال عن القرآن قولاً صائباً قال (لقد سمعت من محمد كلاماً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة وما يشبه كلام البشر والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)^(٢٥) فقالت قريش صباً الوليد.. ثم جاءه زعماء مكة واستقروه حتى قال عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ هكذا وصف القرآن بأنه سحر يروى ينتقل عن السحرة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ لقد تنازل عما قاله أولاً إلى هذا القول الذي أغضب الله تعالى وقال: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ سأجعله يصعد جبلاً من نار أبد الأبدن لتلك المقالة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ساحر وأن القرآن سحر يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وأخيه - ولقد أبقي على زعامة الدنيا بمقالته هذه أمام نادي قريش ودخل بها النار خالداً .

المبحث الرابع: الجزاء بالتقليل والتبديل

المطلب الأول: جزاء أهل الخير بالتقليل والتبديل

المسألة الأولى: تقليل العدو في القتال

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {٤٣}﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ {٤٤}﴾ الأنفال

هاتان آيتان من آيات الله، الأولى رؤيا منامية أرى الله تعالى فيها نبيه الكفار في بدر قلة قليلة إغراء بحربهم والوقوف في وجههم نصره للدين وقوة للمسلمين، إذ إن أعداد المسلمين في تلك الغزوة كانت قليلة لأنهم خرجوا للغير ليغنموها وما كان معهم من السلاح إلا القليل وما معهم من الإبل والخيول إلا القليل الذي كانوا يتعاقبون عليه فيركب أحدهم قليلاً ثم ينزل ليركب آخر حتى وصلوا بدرًا، فأراد الله تعالى مع هذا لهم النصر، فأرى نبيه صلى الله عليه وسلم الأعداء قليلي العدد مع كثرتهم في الحقيقة ليندفع في قتالهم، وهذا ما حدث. والآية الثانية رؤية عين في ساحة المعركة وساعة القتال وهي الأشد والأقوى فأرى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم الكفار الذين كانوا ألفاً ويزيدون أراهم نبيه قلة قليلة يستهان بها، فاندفعوا في قتالهم حتى كتب الله لهم النصر المؤزر المبين الذي ارتفعت به راية الإسلام وأكسبت المسلمين عزة وقوة، وأكسبتهم اندفاعاً في قتال أهل الشرك مستعينين بالله غير خائفين.

المسألة الثانية: تقليل نصيب البنت في الميراث

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ النساء (١١)

جعل الله تعالى نصيب البنت في الميراث نصف نصيب أخيها الذكر لحكمة يعلمها الشارع، وهو أمر به، ليس للناس فيه إلا الطاعة.

قضت حكمة الله أن يكون الرجال قوامين على النساء، والقوامة تقتضي أن تكون الرئاسة بيد الرجل هو الساعي على هذه الأسرة والموفر لها حاجاتها، والقيام بالرعاية عليها ولهذا جعل له في الميراث النصيب الأكبر، وقلل من نصيب البنت؛ لأنها ليست مطالبة بالإنفاق وما تقضيه مسؤولية الرئاسة.

بعض المنافقين في كل زمان ومكان اتخذوا من تقليل نصيب المرأة ذريعة يهاجمون بها الإسلام، ويعتبرون في هذا التقليل ظلماً للمرأة وهضمًا لحقوقها، فانبشروا ينتقدون هذا الأمر ويهاجمون الإسلام ويصفونه بما لا يليق في هذا المقام كأنهم أحرص الناس على الخلق من ربهم الذي خلقهم، فالولد ينفق ما ورث والبنت تدخر ما ورثت فشتان بين ممسك ومنفق.

المطلب الثاني:

جزاء أهل الشر بالتقليل والتبديل

المسألة الأولى: جزاء بني إسرائيل بالذلة والغضب

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ سورة البقرة

اختار الله تعالى لبني إسرائيل الخير والنعمة فرفضوا اختيار الله لهم ونعمته فبدلوها بالذي هو أدنى وأقصر وأصغر لقد اختار لهم _ وهم في سيناء الصحراء الجرداء _ لا ماء ولا طعام ولا سكن، فظلل عليهم الغمام، ونزل المن والسلوى للأكل، وفجر لهم من حجر ضربه موسى بعصاه الماء فانفجرت منه اثنتا عشرة

عيناً على عدد قبائلهم .. ولكنهم لم يقبلوا اختيار الله وعطاءه، فأرادوا ما ألفوا عليه فطلبوا بدلاً أسوأ هو القوم والبصل والقثاء والعدس والبقل فكان العجب أن طلبوا الطعام الأدنى وتركوا الطعام الأرفع والأجود، فكان اختيارهم غير موفق فكان العجب، (استبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟) فبين لهم أن ما طلبوا متوفر في أي قرية من القرى فليذهبوا إلى أيها شاعوا .

وضربت عليهم الذلة وهي المهانة والضعف، والمسكنة فلا ترى اليهودي إلا مهيناً ضعيفاً حقيراً لا يملأ النفس مهابة ولا هيبة بل تراه ضعيفاً يستدر الرحمة والشفقة والعطف، وباعوا بغضب من الله وذلك كله بما عصوا الله تعالى فيما أمرهم به وما اختار لهم.

المسألة الثانية: ذهاب النعمة حرقاً

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ {١٧} وَلَا يَسْتَنْتُونَ {١٨} فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ {١٩} فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ {٢٠} فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ {٢١} أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرِيقُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٢٢} فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ {٢٣} أَنْ لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ {٢٤} وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ {٢٥} فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ {٢٦} بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ {٢٧} قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ أَنَّ تَسْبَحُونَ {٢٨} قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٢٩} فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ {٣٠} قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ {٣١} عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ {٣٢} كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٣٣}﴾ سورة القلم هذا مثل ضربه الله لأهل مكة الذين أنعم الله برسول الله صلى الله عليه وسلم في بلدهم، وبين أظهرهم معه كتاب الله يدعوهم إلى الإسلام فوقوا ضده وحالوا بينه وبين الدعوة والناس فحرموا منها عبادة كثيرين تماماً كما فعل أصحاب الجنة في صنعاء وهبهم الله الجنة التي أنشأها أبوهوم وكان يعطي منها المساكين

والمحتاجين فلما مات قرر أبناؤه من بعده حرمان المساكين الذين كان أبوهم يتألفهم ويعطيهم قرروا حرمانهم من أي شيء وتآمروا أن يدخلوا الحديقة مبكرين ويحصدوا ثمارها من غير أن يتعرض إليهم المحتاجون فحرمهم الله تعالى منها، حرقها فأصبحوا فقراء محتاجين كما أصبح أهل مكة فقراء من نعمة الإسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، وهكذا في كثير من الأحيان يقود المال والنعمة كثيراً من الناس إلى الطغيان والكفر .. والهلاك وذهاب النعمة (٢٦).

المسألة الثالثة: تحويل النعمة إلى نقمة

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ {٢٨} جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ {٢٩} وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ {٣٠} ﴾ إبراهيم

كفار قريش جاءتهم نعمة الله ، الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فلم يقبلوا الرسول ولا الإسلام ولا القرآن، ورضوا أن يظلوا مع الأصنام يعبدونها ويتقربون إليها ويأملون خيرها ويخافون شرها. ولم يقفوا عند عبادتهم للأصنام، بل منعوا من دخل في الإسلام أن يستمر فيه فأصبح المسلمون بين معذب ومقتول وفار بدينه إلى خارج مكة، لقد حجروا على الناس حرية العقيدة وألزموهم بما يعتقدون صحته وهي الأصنام والكفر. والقرآن يبين في وضوح مصير هؤلاء المجرمين فقال: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ .. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ أي بنس الموقع الذي يستقرون فيه جهنم، لقد بدلوا نعمة الإسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم كفراً .. فلم يسلموا ولم يتركوا من أسلم حراً ليعبد ربه (٢٧) .

المسألة الرابعة: تبديل جنتي سبا

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ {١٥} فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ {١٦} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَآ يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورُ {١٧}﴾ سورة سبا

سبأ أنعم الله عليها بالأرض الخصبة، والماء الوفير في سد مأرب فزرعوا وامتألت البلدة بالحدائق، والبساتين وامتألت أجسامهم عافية وقوة، والبلدة لا مرض فيها ولا سقم وطلب الله من هؤلاء جزاء كل هذه النعم أن يحمدهوه ويشكروا فضله فأبوا.

فبدل الله تعالى حالهم وأذهب نعمته التي من عليهم بها بعد أن أصبحوا ليسوا أهلاً لها، سلط على السد فأراً فأحدث فيه جحراً، وحين امتلأ بالماء اتسع الجحر وتدفق الماء وأصبح سيلاً جرف ما أمامه من بساتين ومزارع وتركها أثراً بعد عين، وبعد الجفاف نبت مكان الفواكه شجر مر (أكل خمط) (وأثل) وهو شجر الطرفاء الذي لا يصلح إلا وقوداً للنار.. ومن السدر أعطاهم شجيرات قليلات. لقد ذهبت النعمة وحل مكانها العقاب شاهداً على الغضب وباقياً للظة والعبرة.

المبحث الخامس: الجزاء هلاكاً وتدميراً وذهاباً

المطلب الأول: ذهاب الأمم بالهلاك

المسألة الأولى: قوم نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ {٢٣} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا {٢٤} مِمَّا خَطَبَيْنَاهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا {٢٥} ﴿سورة نوح.

هذه أمة نوح كذبته ولم تؤمن مع طول المكث فيهم فأنجاه الله ومن معه من المؤمنين وأهلك الكافرين بالطوفان ولهم عذاب في الآخرة عظيم . فجمعوا بين عذابي الدنيا والآخرة.

المسألة الثانية: عاد قوم هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ {٨}﴾ الحاقة

وهؤلاء قوم هود لم يؤمنوا فسلط الله عليهم الريح الصرصر فأهلكتهم فأصبحوا كأعجاز نخل خاوية، فانتهدت القبيلة كلها ونجا المؤمنون مع هود عليه السلام فأصابهم العذاب الدنيوي بالهلاك وينتظرهم العذاب الآخروي .

المسألة الثالثة: ثمود قوم صالح عليه السلام

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا {١١} إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا {١٢} فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {١٣} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا {١٤} وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا {١٥}﴾ الشمس

قوم ثمود لم يؤمنون بالله ولم يستجيبوا لدعوة نبيهم صالح عليه السلام، واعتدوا على الناقة التي طلبوها بالاسم واعدن بالإيمان والاتباع إن أخرج الله لهم ناقة من الصخرة فلما أخرجها لهم كفروا وعدوا على الناقة فذبحوها فأرسل الله عليهم صاعقة أهلكتهم أجمعين فجمعوا بين عذابي الدنيا والآخرة. الدنيا بالصاعقة والآخرة بالنار، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَلَلَّيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْنَهُمْ وَأَنْصَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) الْقَمَرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ البقرة

المسألة الرابعة: لوط قوم لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَلُوكَ فَلا تَقْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤)﴾ الحجر

هؤلاء قوم لوط، أخبرتهم زوجته بمجيئ الغلمان _ هم الملائكة _ فجاءوا يتسابقون، فحاول صدهم عن ضيوفه ودعاهم للزواج من البنات بدل الانحراف للبنين، فخالفوه وغلبيتهم شهوة الأولاد فوصفهم المولى بالسكرانة وهي شدة الشهوة التي تعمي فلم يسمعوها ولم يعوا فطمس الله أعينهم فلم يروا الملائكة، وظلوا

الجزءات في القرآن الكريم تفلولا وعدلا

محبوسين وخرج لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين من القرية ومع شروق الشمس جاء العذاب لأهل القرية ، فرفعها جبريل عليه السلام بجناحيه إلى أعلى ثم كفأها وتساقطوا والحجارة ترجمهم قبل أن يصلوا إلى الأرض ثم وقعت الأرض منكفئة فصاروا تحتها هالكين ، هذا عذاب الدنيا وينتظرهم عذاب الآخرة (٢٨).

المسألة الخامسة: أصحاب الأيكة

قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ {١٧٦} إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ {١٧٧} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {١٧٨} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {١٧٩} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَزِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٨٠} أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ {١٨١} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ {١٨٢} وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {١٨٣} وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى {١٨٤} قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ {١٨٥} وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ {١٨٦} فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٨٧} قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٨٨} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {١٨٩}﴾ الشعراء

أصحاب الأيكة _ قرية قرب مدين _ بعث الله إليهم شعيباً لينهاهم عن عبادة الأصنام والتطفيف في الكيل والوزن وغيره من المفسدات وعن بخس الناس أشياءهم بأن يتقه بضائع الناس ليقبل ثمنها ويشتريها رخيصة وأمرهم بتقوى الله الذي خلقهم ومن قبلهم فأبوا الطاعة وآثروا المعصية فسلط الله عليهم الحر وأرسل إليهم سحابة أظلتهم فاجتمعوا تحتها فنزلت عليهم صاعقة منها فأهلكتهم أجمعين فذاقوا عذاب الدنيا وينتظرهم عذاب يوم القيامة (٢٩).

المطلب الثاني: ذهاب الأشخاص بالإغراق

المسألة الأولى: إغراق فرعون

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ {٥٦}﴾ الزخرف. هذه نهاية فرعون، الذي ادعى الألوهية والربوبية ليعبد من دون الله، وجاءه موسى بتسع آيات معجزات ليرده ومن معه عن دعواه فأبى وأصر على الكفر، فهو يعد نفسه عظيماً بأن له الملك على مصر ولا يدرى من جهله من أعطاه الملك وأجرى الله الأنهار رحمة بالعباد، وحسبها أن تجري من تحت أوامره وفضله، ويحسب أنه في منزلته ومكانته وعظمته أعظم من موسى الذي قال عنه إنه مهين.. ولا يكاد إذا تكلم أن يفصح وهو عكسه عظيم ومبين، ثم يطعن في نبوته بالفقر أولاً فيقول: لولا ألقى عليه أسورة من ذهب يعيش منه ويغتني، أو جاء معه الملائكة يؤكدون نبوته والقوم يسمعون ويصفقون فرحاً بهذا الهراء ولما أغضبوا الله بهذا التصرف وطال عليهم الأمد خلص الله البلاد والعباد منهم فقال: (فَلَمَّا أَسَفُونَا) فلما أغضبونا. انتقمنا منهم كل ما قالوه .. فأغرقنا فرعون وهامان وجنودهما أجمعين فجعلناهم سلفاً، أمة سابقة لأُمم وجماعات ستلحقهم في النار مكذبين معاندين، وجعلناهم مثلاً يضرب للكفر لياخذ الناس العظة والعبرة منهم (٣٠).

لما قتل أبو جهل في غزوة وجئ برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال: (هذا فرعون هذه الأمة) (٣١) وكان فرعون الأول سلفاً له.

المسألة الثانية: ذهاب الأمة بالتمزيق

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ {١٨} فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ {١٩}﴾ سبا

أهل سبا عاشوا في نعم كثيرة لكنهم لم يشكروها فذهبت تلك النعم ، ومن نعم الله عليهم أنهم كانوا إذا سافروا إلى مكة وبيت المقدس، جعل الله بينهم وبين تلك المدن قرى ممتدة، فهم يسافرون ولا يحملون الزاد وهم آمنون في الطريق، لأنهم سيدخلون من قرية إلى قرية حتى يصلوا إلى مبتغاهم .. فلم تعجبهم هذه النعمة، وأرادوا الشقاء، وعناء السفر، وسوء المنظر، وجهد الطريق وعدم الأمن .. طلبوا من الله عز وجل أن يبدل الحال السهل إلى أسوأ حال. فقالوا: ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ۖ ۝ فَاسْتَجَابَ الْمَوْلَىٰ طَلِبُهُمْ وَدَعَاءُهُمْ، فباعد بين الأسفار وأذاقهم مشقة الطريق والحرمان من حسن الزاد والماء ونعمة الراحة، ومزق القبيلة _ سبا _ كل ممزق فشتتهم في البلاد بعد أن كانوا مجتمعين وتمزقوا مزقاً .. فلم يلتئم لهم شمل ولم يجتمع لهم جمع. وجعلهم مثلاً يضرب في التمزيق فهم الآن يضرب المثل في ذلك يقال: (تفرقوا أيدي سبا) تلك عقوبة من كفر بالنعمة وينتظرهم عقاب الآخرة (٣٢).

المسألة الثالثة: ذهاب العمل هباء منثوراً

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ۝ ٢٣ ﴾ الفرقان. مشهد من مشاهد القيامة يبينه الحق تبارك وتعالى ، قوم من الكفرة لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وجاءوا إلى القيامة بأعمال كثيرة صالحة من صدقات ومساعدات وبناء مدارس ومشافي ومساكن للناس ، فجعل الله تعالى تلك الأعمال هباء منثوراً، شيئاً غير ذي قيمة، ولا مكانة له عند الله، ذلك أن صاحبه لم يأت مؤمناً ذلك أن جواز قبول الأعمال هو إيمان صاحبه وإتباعه لنهج الإسلام ورسول الإسلام، فلما جاء بغير إيمان ولا إسلام أمر الله تعالى هذه أن تكون هباء متناثراً في جينات الكون لا يجمع ولا ينفع ولا يوزن ولا يخلص صاحبه إلى لا شيء إلا الجزاء بالنار (٣٣).

المسألة الرابعة: ذهاب العمل كسراب بقيعة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَافَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ {٣٩} النور. هذه الآية كسابقتها، في أهل الكفر الذين لم يؤمنوا وجاءوا إلى الآخرة بأعمال صالحة.. فهم يتعشمون أن يجدوا ثمرة ما قدموا من عمل صالح جزاء في الجنة يوم القيامة، ولكنهم لقوا الله تعالى فحاسبهم على عدم إيمانهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لهم إيمان فضاعت أعمالهم؛ لأنه ليس عليها خاتم الإيمان الذي يؤدي إلى جوازها. فشبهم الله تعالى في رجائهم ثواب أعمالهم الصالحة بغير إيمان كالذي يرى السراب على البعد ويحسبه ماء حقيقياً فيسعى إليه ولكن ما أن يصل موقعه حتى يجد أن الماء لم يكن ماءً حقيقياً إنما كان سراباً. ووجد الله تعالى هنالك يوم القيامة فحاسبه على كفره وأدخله النار، فلا جزاء بلا إيمان إلا لنا، وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {٣٨} والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٣٩} البقرة.

المسألة الخامسة: ذهاب العمل حبوطاً

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ {١٠٣} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا {١٠٤} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا {١٠٥} ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا {١٠٦} الكهف. المولى عز وجل، يوجه إلينا سؤالاً، قل: يا محمد: للمؤمنين من أمتك أترغبون أن تعرفوا الأشد خسارة من البشر وأكثرهم تعاسة يوم القيامة؟ .. جماعة جاءوا بذنوب مركبة في الكفر بالله تعالى ولقائه يوم القيامة، والاستهزاء بالآيات الكونية والقرآنية، والاستهزاء بالرسول، ومع ذلك هم يحسبون أنهم هم الأحسن أعمالاً والأحسن

صنعاً . لقد كفروا بالله ولم يؤمنوا بما قال: كفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى وكفار مكة قالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجائب، واستهزأوا بالرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ الأنبياء واستهزأوا بالبعث بعد الموت ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ وقال شاعرهم .

يحدثنا ابن كبة أن سنجيا وكيف حياة أصداء وهام
أتعجز أن ترد الموت عني وتحيني إذا بليت عظامي

هذه الفئة ذات هذه الصفات يقول المولى عز وجل عنها : ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ فلا أعمال توزن ؛ لأنها جاءت بلا إيمان فلا وزن ولا قبول إلا بالإيمان.

المسألة السادسة : ذهاب أجر المتصدق بالمن

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {٢٦٤}﴾ البقرة. الصدقات والعطاءات ابتغاء مرضات الله تعالى أجراها عند الله عظيم، ولكن لها أدواء تذهب هذه الأجور يحذر الله تعالى عباده منها. فالمن والأذى إعلان يذهبان بأجر الله تعالى للمتصدق لهذا حذر الله تعالى المتصدقين من هذا الفعل، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ البقرة (٢٦٤) والمن: التحدث بالفعل للناس رفعا لشأنه وتعظيماً بنفسه عند الناس وإيذاء لمن تفضل عليه، فمن فعل فقد أبطل أجر تصدقه.

وضرب الله تعالى مثلاً لمن ذهب أجره بالمن والأذى فشبهه بحجر عليه تراب، نزل عليه المطر فغسله فلم يبق على الحجر شيء من التراب، فالتراب هو الأجر والحجر هو يد المتصدق والمطر هو المن والأذى فنزل على مال

المتصدق فغسله فلم يبق عليه شيء أي ذهب المن والأذى بالأجر والثواب وبالمال (٣٤).

يقول المتنبئ :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً (٣٥)

المسألة السابعة: زهاب العمر والمال

قال تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ {٢٦٦} البقرة. هذه الآية تتحدث عن حالة يحب الله تعالى أن ينفر عباده منها، فإنها حالة بشعة، رجل آتاه الله تعالى حديقة، حوت الكثير من الثمر، من جنات الفواكه والنخيل والأعناب، والماء متوفر فيها أنهاراً، وصاحبها بلغ به العمر أرذله، فأصبح عاجزاً قاعداً عن العمل، وله أبناء صغار ضعفاء لا يملكون القدرة على العمل فيها ولا على الكسب من غيرها ولا على معاونة والدهم الضعيف، ومع هذا كله أصاب الحديقة إعصار فيه نار فأحرقها وقضى عليها، لقد ذهب ما أخرجه لهم وذهب هو عاجزاً وحل به وبأبنائه الضعفاء الفقر والعوز والحاجة حالة مزرية لا يتمناها أحد وهي مثل يضربه الله تعالى لسوء الخاتمة .. ويحذر الله تعالى عباده منها بهذا الذي ساقه ، مقرباً الصورة للعباد ليحذروا وليتقوا الله (٣٦).

الخاتمة

وبعد : فأوصي بالتأمل في جزاءات القرآن فالتأمل في جزاءات القرآن
نعمة، من شأنها أن تكبح جماح النفس، وتعقل اللسان، وتضبط الشهوات فقد
ذهبت أمم ، وهلكت نفوس، وحبطت أعمال، وضاعت نعم بقلّة لسان، وانطلاق
شهوة وجماح نفس، وفي العقل والتروي، وتقلب الأمور، والتبصر بالعواقب
منجاة من المهالك، والوقوع في ما يغضب الله تعالى، ويذهب بالنفس والمال
والأهل والعمل.

وأوصي بالاستغفار والذكر فقد فتح الله تعالى لهذه الأمة أبواباً للسعادة
لتنجو، وتفلح وجعل في الاستغفار محواً للسيئات، وفتحاً لأبواب الرحمة، وقربى
من الله تعالى، وجعل في ذكر الله حصناً من الشيطان، وتركياً للنفس، وقبولا
للأعمال. لقد جازى الله تعالى بالرفعة والتكريم أفراداً وجماعات وأممأ عرفوا
الله واتبعوا الرسول وسلكوا النهج القويم فعاشوا في الدنيا آمنين، ومضوا إلى الله
مطمئنين لا خزايا ولا مفتونين.

وجازى بالعذاب أقواماً نسوا الله فنسيهم، وفعلوا أفعالاً فأهلكتهم ، وقالوا كلمات
هوت بهم إلى الجحيم، فعاشوا الحياة مفتونين ومضوا إلى الأخرى محرومين.
في القرآن أنس، وعلم وتبصير وتنوير، وفيه فلاح ونجاح، وفي الإقبال عليه
قربى وفي تلاوته نعمة وفي العمل به رفعة ، ويكفي فيه القول: (خيركم من
تعلم القرآن وعلمه) فالله اجعلنا أهلاً لرفعك ومحطاً لرحمتك يا أكرم الأكرمين
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- الجامع لأحكام القرآن
محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي إحياء التراث بيروت
طبعة ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م.
- الرحيق المختوم
صفي الدين الميار كفوري طبعة رابطة العالم الإسلامي مكة
المكرمة الطبعة السادسة ١٤١٨/١٩٩٧.
- السيرة النبوية لابن كثير
إسماعيل بن كثير الدمشقي طبعة الحلبي ١٩٢٧ م .
- السيرة النبوية لابن هشام
تحقيق مصطفى السقا والايباري طبعة الحلبي ١٩٩٨ م مصر
- تفسير القرآن العظيم
إسماعيل بن كثير طبعة مؤسسة الريان ط ٢ / ١٤٢٠ /
١٩٩٩ م .
- ديوان المتنبي
أبو الطيب المتنبي طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٨ م .
- سنن ابن ماجه
للإمام محمد بن يزيد القزويني بن ماجه دار الفكر بيروت .
- صحيح البخاري
محمد بن إسماعيل البخاري دار الفكر بيروت طبعة ١٩٩٨ م .
- صحيح مسلم
لمسلم بن الحجاج القشيري .
- في ظلال القرآن
لسيد قطب دار الشروق بيروت طبعة ١٩٩٨ م .
- لسان العرب
جمال الدين محمد بن مكرم دار الفكر بيروت .
- مسند الإمام أحمد
للإمام أحمد بن حنبل طبعة بغداد ١٩٨٧ م .
- القاموس الفقهي
لسعيد أبو حبيب دار الفكر مصر .

الهوامش

- ١/ صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ حديث ٢٥٥٧
- ٢/ لسان العرب ١٤٥/١٤
- ٣/ القاموس الفقهي لسعيد أبو حبيب صفحة (٦٢)
- ٤/ انظر ابن كثير ٣٥٠/٤
- ٥/ انظر القرطبي ٣٥٠/٣
- ٦/ صحيح مسلم ٨٨٦/٢
- ٧/ انظر القرطبي ٨٣/٢
- ٨/ انظر ابن كثير ٩٧/٢
- ٩/ الرحيق المختوم صفحة ٧٥
- ١٠/ انظر ابن كثير ٣٦٨/٣
- ١١/ الرحيق المختوم ٢٥١
- ١٢/ السيرة لابن هشام ج ٢ صفحة (٢٧)
- ١٣/ مسلم ٣٦٦/١ حديث رقم (٢١٩)
- ١٤/ انظر ابن كثير ١٨٨/٣
- ١٥/ البيت لأبي الطيب المتنبي في هجو كافور الأخشيدي بمصر سنة ٣٤٦ عندما طلب منه أن يوليه فلم يوليه ديوان المتنبي ٣١٠/١ (اخبار المتنبي ج ١/٣٩)
- ابو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، ولد بالكوفة ونشأ بالشام تنبأ بالسماوة تعرض له حاكم حمص فسجنه فرده عن دعواه فذهب لسيف الدولة الحمداني بحلب فخرج منه الى مصر الى كافور الأخشيدي حاكم مصر فأختلف معه فهجاه (الإعلام للزركلي ١١٥/١)
- ١٦/ انظر ابن كثير ٥٨١/٢
- ١٧/ انظر ظلال القرآن ٣٨٨/١
- ١٨/ انظر ابن كثير ٢٩٩/١ ج ١ ص ٢٩٩
- ١٩/ ديوان العرب ٤٢٧٧/١
- ٢٠/ انظر ابن كثير ٤٦١/٣

٢١/ انظر القرطبي ٢٠٤/١٣

٢٢/ انظر القرطبي ١٥٧/٥

٢٣/ انظر القرطبي ١٩٣/٧

٢٤/ مسند الإمام احمد ٢٢٢١/٢٤٧/١

٢٥/ انظر ابن كثير ٤٤٣/٤

٢٦/ انظر في ظلال القرآن ٢٣٦/٨

٢٧/ انظر ابن كثير ٥٣٨/٢

٢٨/ انظر القرطبي ٢٧/١٠

٢٩/ المصدر نفسه ٩٠/١٣

٣٠/ انظر ابن كثير ١٢٩/٤

٣١/ الهيرة لابن كثير ٤٤٤/٢

٣٢/ انظر القرطبي ١٦/١٣

٣٣/ انظر القرطبي ١٨٦/١٢

٣٤/

٣٥/ انظر التخرّيج صفحة ١٣

٣٦/ انظر القرطبي ٢٠٧/٣